فصل من رواية

نبيل سليمان

هنا فصلٌ من رواية جديدة لم تصدر بعد للكاتب السوري نبيل سليمان، وعنوانها مجاز العشق. وقد قامت حركات هذه الرواية، كما يبدو، على العشق، والجنس، ومستقبل الصراع العربي ـ الإسرائيلي، والصراع التركي ـ السوري، واوسلو، و«العودة» الفلسطينية الناقصة الى غزة والضفة. إنّها تجربة جديدة لصاحب المدارات و الأطياف، وقبلهما السجن و جرماتي، الى الحد الذي يصرّح فيه أنه يكتبها «وكأنّه لم يكتب حرفاً؛ فهو أشبه بطفل يتعلّم بنفسه وممّا حولَه وما سبقه»، بحسب قول فؤاد صالح لصبا العارف في الرواية المخطوطة.

ملاحظة أخيرة: النقطتان(:)، لعلامة الترقيم، ليستا خطأ من الحاسوب، وإنّما هما «ضروريتان جداً حيث وردتا» كما أكّد المؤلفُ في رسالة مرفقة.

ليلة وداع

تعمدت أن أصل متأخراً لأنفرد بفاتن هذه الليلة، فإذا بـ«صبا العارف» لا تزال تودِّعها، و«يمان» لا يزال يحوص حولها:

غالبتُ ضيقي، ولاعبتُ «يمان» قليلاً، قبل أن تغمزني فاتن وتدفعه نحو غرفته: استرقتُ من صبا نظرة: لا بد أني صادفتُها هي أيضاً في سوق رمضانيات الشام أو في معرض الكومبيوتر في الشيراتون: كانت الآن تلهو بالمجلة التي تخبئ صورةَ مأمور المياه في إسرائيل كأنما تتحاشى الصورة: الآن أرجّح أني صادفتُها في أمسيةٍ منير بشير الموسيقية بصحبة الأستاذ محمد أو شقيقته مها: تنحنحتُ وقلتُ:

ـ تمنيتُ لو نلتقي في غير هذه الليلة:

رَمَتْ شطراً من ابتسامةٍ، وعادت إلى المجلة: تكوَّرتُ في الكنبة عاتباً على فاتن التي لم تجمعني بصديقتها وشريكتها في وقت أفضل: تعللتُ لفاتن بانشغالها في الإعداد لسفرها إلى قبرص: حمدتُها أنها عهدتْ بيمان في غيابها لصبا وأم فادي: خفتُ من وحدتي القادمة: نحّتْ صبا المجلة ومضت إلى المطبخ: تجرأتُ على النظر إلى ظهرها: نحيلة: انزمّتْ شفتاي وتجرأتُ على النظر إلى عجيزتها: ضامرة بسّ حلوة: ابتسمتُ وتفحصتُ ساقيها: حمشاوان: قررتُ أن أتفحص صدرها عندما تعود: لا بد أنها حدّاء: صبا قبّاء حدّاء، وكان على أمها أن تطعمها القثاء بالرطب لتسمن: نوال الشيخ كانت أيضاً قبّاء حدّاء، وكانت تعيّرني باشتهائي السمينات: كنت أتعمد إغاظتها وأتمطّق: «النساء فرشٌ، وأطيبُهنّ أوثرهنّ»: ما من لباس على المرأة أزين من الشحم: وأقبلتْ فاتن تترجرح، فحلفتُ أنّ السمن في النساء غلمة:

ـ إنْ شالله شفيتك من العقدة:

همستْ ولحقتْ بصبا: خجلتُ وانتقلتُ إلى الكنبة المجاورة: ظهرتْ صبا في باب المطبخ تحمل صحناً ثم اختفت: حلفتُ أنها قعرة، وتذكرتُ أنها زوجة شهيد وصديقةُ فاتن وشريكتها: خجلتُ وهربت إلى غرفة يمان: كان الكومبيوتر يلهو بلعبة، ويمان غافياً: وددتُ أن أهتف عالياً: «ماما: وقفت الحمامة: يمان: اشرب وبلْ»: التفتُّ نحو الباب، وعزمتُ على أن أتباهى عما قليل أمام صبا وفاتن: «من منكما زارت باريس؟ من منكما

قرأتْ إعلان ڤيتيل: اشربْ وبلْ؟» اشربي يا فاتن وبولي: بولي يا صبا وتلذذي: من منكما زارت الدريكيش؟ مياه الدريكيش أيضاً مدرّة: اسألا الأستاذ محمد وشقيقته مها: سأقترح عليهما غداً أن نخلط إعلان ڤيتيل بإعلان ڤيشي لنصنع للدريكيش إعلانها: ڤيشي القديسة: الدريكيش القديسة: أيتها القديسة اغمرينا ببركتك حتى نشرب ونبول ونتلذذ: اهتفْ يا يمان: عاشت السياحة: عاش القرن الواحد و:

فجأة قطع نداءُ فاتن الهتاف:

ـ اترك الولد بحاله وتعال:

بدتْ صبا تتأهب للمغادرة: قلتُ وأنا أجلس:

ـ توسطتُ فاتن مراراً حتى تساعديني فيما أكتب:

ردّتْ صبا:

ـ فهمت أنك نويت على رواية: ما حاجتُكَ لمعلومات عن السدود والأنهار؟

قاطعتها فاتن:

ـ كل ما يحتاجه فؤاد من المكتب هو له مجاناً: الصدقة عليه حلال:

ـ تصدّقي من حصتك:

قالت صبا، ثم خاطبتني ببرود:

ـ تدفع نصف ما نأخذه من الآخرين:

سألتُ ممازحاً:

ـ والخدمة الثقافية أين هي؟

قالت بجدية، فهامستني فاتن:

ـ يكفي أننا نوفّر عليك وعلى غيرك الوقتَ والجهد:

ـ صبا لم تعجبها رسالتك في غشاء البكارة:

حدّقتُ في صبا التي مدت يدها مودعة: صافحتُها بامتعاض، وتركتُها تودّع فاتن مرتّلاً في سري ﴿إنّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً وعُرُباً أتراباً﴾: نظرتُ إلى المكتبة وأردفت: ﴿لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جان﴾: استرقتُ إليهما نظرة وتمتمتُ: «عليكم بالأبكار، فإنهنّ أعذبُ أفواهاً وأنتقُ أرحاماً وأغرّ غرّة»: ترقرقتْ ضحكة فاتن، فالتفتُّ نحوها خائفاً من أن تكون قد سمعتني: كانت أكفهما متشابكة: تنهدتُ مطمئناً، وعادت عيناي إلى المكتبة: فكرتُ في أنّ صبا على حق؛ فقد حذفتُ من تلك الرسالة أغلبَ ما جمعتُ من آياتٍ وأحاديثَ، وحوّرتُ خبرَ الشيخ الحاكم الذي يمضي إجازته على شاطئ الأطلسي يثقب أغشيةَ الصغيرات العربيات والبربريات: لماذا جعلت الرجلَ أميراً غير حاكم، وضيعتَ شاطئ الأطلسي بين شاطئ للمتوسط وآخر للباسفيكي؟ لماذا أضفتَ إلى الصغيرات العربيات والبربريات كبيراتٍ إسبانياتٍ وفيليبينياتٍ وغلماناً من الباتان؟

لكنّ شهاب الوزير أُخِذَ بما كتبت: نوال الشيخ امتدحتْ رسالتي: فاتن نفسها: لِمَ صبا العارف وحدها إذن؟ هل تكون راغبة هي أيضاً في أن ترتق غشاءها وتستعيد عذريتها؟ هل تكون ليلتها الأولى أشدَّ وحشةً من ليلة فاتن مع أنيس أسعد؟ المرأة لا تنسى أبا عذرها حقاً، كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سوف أحمل إلى صبا في أول زيارة لمكتب القدس كلَّ ما حذفت: سأحمل لها بخاصة مباريات الحريري بين فضل وعيب البكر والثيّب: سأنتزع إعجابها انتزاعاً، مثلما أنتزع نفسي الآن مما اعتراني إذ غادرتْ صبا وفاتن واقفة أمامي غير مصدقة:

ـ فرجة: والله العظيم فرجة: ما بكَ؟

قالت وهي ترتمي عليّ: تململتُ، فسألتْ حانيةً:

ـ ضايقتُك صبا؟ هي هكذا من مدة: نكد مع أهلها ومع صديقها وفي المكتب..

قاطعتُها منكراً أن أكون متضايقاً البتة، فقرصتْ أذني عاتبة:

ـ لا تودِّعني بهالكشرة:

خبأتُ أصابعي في شعرها ولبثتُ أحدِّق: عيناها تطفحان بالماء: انتظرتُ أن تنفرط قطرة: خفتُ أن تكون حزينة: لجأتُ إلى كتفها أتنسّم وأستدرّ من عيني دمعة: فجأة نشجتْ: ماذا أفعل؟

بحر
I

اللاذقية تختفي رويداً، والباخرة تنأى، وفاتن تُسْلم شعرها للهواء العابث وتدفعه بثدييها العامرين ـ كما ألفتْ من فؤاد أن يردّد في الآونة الأخيرة ـ وتتمايل من الشرفة اليمنى إلى الشرفة اليسرى معتزلةً الآخرين ومرددةً خلف فؤاد: «البحر عرق تعرقه الأرضُ لما ينالها من إحراق الشمس»:

بألوان الأفق الغامضة أقبل فؤاد يصحِّح: «البحر بقية من الرطوبة الأولى: لما احترقتْ بدوران الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقي إلى ملوحة ومرارة»:

همتْ لكمات فاتن بالانهيال على فؤاد مكذِّبة، لكنّ يمان أقبل بألوان الأفق الغامضة مصدِّقاً ومستزيداً، وأخذ وفؤاد يلغطان ويرشّان فاتن بالرذاذ المالح:

في طرفة عين غابا وعادت فاتن وحيدة: تمايلت الباخرةُ برفق: أغمضتْ فاتن عينيها تداري وحشةً مباغتة: نبق سرير خشبي صغير هزّاز في أقصى شرفة الباخرة: تناولت الأمُّ طفلتها البكر من البحر ووسّدتها حضنها قليلاً ثم مددتها برفق على حشيّةٍ من القش تملأ السرير: تخلّقت موجةٌ فتيةٌ يدين معروقتين تلاعبان السرير: تبددتْ وحشةُ فاتن وأغفت الطفلة بهناء: ألقى الهواء العابث بشعر فاتن على وجهها فأفاقت الطفلة: تمايل البحر بالباخرة التي خلا سطحها الآن إلا من فاتن: للخلوة سِرُّها، وللسرير أمانُهُ، وللباخرة وجْدُ

بيتك يا أبي، وللبحر لغطك يا يمان:

كيف دفعتِ الباخرةُ «فاتن» بغلظة إذن، وجعلتها تكتم شهقتها وتكبّ من عل: أمواج تلاطم الباخرة بشراسة: طفلة تنشب من سريرها الخشبي الصغير الهزّاز وتغافل أمها وتركض إلى الشاطئ: تقف الطفلة وتلتفت إلى غزة التي تمنّى إسحاق رابين أن يبتلعها البحر: تمدّ فاتن لسانها وترتمي على صدر موجة فتية: تبلع الماء المالح لأول مرة ويُثقلها القميص: تخبط يداها صوب البحر وصوب غزة: تقذفها الأمواج التي تلاطم الباخرة بقسوة: ترتمي على صدر الرمل الأشقر البليل، والأم تصرخ، والأب الأعمى يقسم بالله العلي العظيم أنّ فاتن مجنونة: تنكر فاتن ـ حين تكبر ـ أن تكون غرقتْ أو أوشكتْ: تعابث ذاكرة كليلة وأخيلة تنشر الخوف وحسب: عصا الأب الأعمى: خوذة العسكري الإسرائيلي: قبة جامعة القاهرة: المعديّة: قناة السويس: مركب الصيد: سمكة تبلعط: مظاهرة: نتيجة الامتحان: أنفاس أنيس أسعد ودعوته المريبة: تعالي إلى قبرص: والخوف يرخّم صوت هذا الشاب: سيدتي: أرجوك أن تتفضلي إلى الداخل:

II

القمرة غرفة صغيرة تائهة في الدقّي، كما تاهت القاهرة من فاتن منذ حملت الليسانس في الأدب الانكليزي. روحة بلا رجعة إياك: أن تديري وجهك صوب مصر: سجلّ حافل يا بنت الحرام: اتحاد الطلبة: المنشورات والمظاهرات: ونحن نعلم علم اليقين أنك في الجبهة، وأنّ الجبهة تبطن حزبها، والحزب يبطن فاتن طروف: الحقي بالسابقين والسابقات إلى بيروت: الله عوّضكم ببيروت عن فلسطين: اخرسي يا بنت الكلب:

والقمرة: غرفة صغيرة، فبيت صغير في الفاكهاني: بيروت عاصمة فلسطين: أنيس أسعد الشهير بأبي يمان قائد سياسي يقود غسان الوهبة القائدَ العسكريَّ الذي يقود المقاتلين في صيدا: فاتن طروف مشبوحة بين المعسكر والمكتب والترجمة والمغازلات والرصاص: وعلى شفا حرب ١٩٨٢ تغدو صبا العارف صديقَتَها الوحيدة: فجأة صارت صبا أرملةَ الشهيد مازن، والختيارُ [ياسر عرفات] بنفسه عزّاها: أبو إياد وأبو جهاد وأبو النوف [نايف حواتمة] والحكيم [جورج حبش] وأبو يمان ـ ما حدا أحسن من حدا ـ عزّوا صبا، ومنهم من هنّأ فاتن بيمان بعد سنين: ولكنْ متى تزوجتْ فاتن وأنجبتْ؟

القمرة: بيت صغير أيضاً: مرتّبٌ أيضاً ونظيف، بخلاف مخيم اليرموك كله: الطريق من الشام إلى بيروت تنقطع بفاتن مثلما انقطعتْ بصبا: أنيس أسعد لا يهدأ: من قبرص إلى الشام، ومن الشام إلى تونس، ومن تونس إلى قبرص: غسان الوهبة لا يهدأ: من صيدا إلى الشام، ومن الشام إلى صيدا، يلعن أبا القائد السياسي والقائد العسكري والمقاتلين الذين يضربهم العمى ويبأسون ويعودون إلى بيوتهم، مَثَلُهُم مَثَلُ المقاتلين الذين يضربهم العمى ويبأسون وليس لهم بيت يعودون إليه: أنيس أيضاً يلعن حاجة فاتن إلى تدريس الإنكليزية من بيت إلى بيت، كما يلعن الرفاق الذين يلهثون خلف ياسر عرفات، والرفاق الذين يغويهم ياسر عرفات، وأوسلو التي جمعتِ الفلسطينيَّ والإسرائيليَّ، والعواصمَ العربيةَ التي لا تستطيع أن تجمع الفلسطيني مع الفلسطيني:

والقمرة: فضاء يتقاذف فاتن، يضرب الأزمنة والأمكنة ببعضها، يلتاث وهو ينجلي عن دولارات وسوق سوداء وانشقاقٍ في الجبهة ـ أيّةِ جبهة ـ والحزب ـ أيِّ حزبٍ ـ وصالون في المخيم: لماذا تشنّع صبا العارف أو أبو كريم: فاتن طروف تشغّل شباب المخيم بالتهريب؟ أيّ تهريب يا روحي؟ أنا ما عندي إلا عطور وكريمات واكسسوارات: روحوا شنّعوا على من يشغّل شباب المخيم وأولاد المخيم وعواجيز المخيم بالمالبورو والبولول والحشيشة كمان:

والقمرة: شق صغير في هذا المكان يعلو بفاتن ويهوي: البحر يتقيأ فاتن، وفاتن تقاوم حتى يأنسَ البحر، وتهدأ الباخرة، ويكونَ أبو يمان قد أقام في تونس، والرفاقُ قد صاروا بدداً، والدولارات فتحت البوتيك الأشهر على رأس ساحة عرنوس، وشاركت صبا العارف في مكتب القدس للخدمة الثقافية: بقية من الأوهام والأحلام: تلويحة للماضي: لكن صبا تشنّع: قولي: المستقبل يا فاتن: طيب يا صبا، كما تريدين يا صديقتي: فؤاد صالح أيضاً يتشدق بالمستقبل: غسان الوهبة يتشدق مثلك ومثل فؤاد وأبو كريم: والله أنا أريد هذا المستقبل مثلكم: طريقاً غير مقطوعة من هذه القمرة إلى غزة أو القاهرة أو بيروت: لكن القمرة نفسها تقطع الطريق: لماذا طلبتني إذن يا أنيس؟

أخلاط

I

حدث نوء عظيم: كانت الأمواج تضرب السفينة حتى صارت تمتلئ: وكان هو في المؤخرة على وسادة نائماً، فأيقظوه وقالوا له: يا معلم، أما يهمك أننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح وقال للبحر: اسكت. فسكتت الريح وصار هدوء عظيم: وقال لهم: ما بكم خائفين هكذا لا إيمان لكم؟ فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: من هو هذا؟ فإنّ الريح أيضاً والبحر يطيعانه:

ورآهم معذبين في الجذف لأن الريح كانت ضدهم: ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر وأراد أن يتجاوزهم: فلما رأوه ماشياً على البحر ظنّوه خيالاً فصرخوا: لأن الجميع رأوا واضطربوا: فللوقت كلّمهم وقال: ثقوا: أنا هو: لا تخافوا.

II

﴿فأوحينا إلى موسى أن اضْرِبْ بعصاك البحرَ، فانفلق، فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم، وأزلفنا ثَمَّ الآخرين، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثمّ أغرقنا الآخرين، إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين﴾:

III

ثقي يا فاتن: لا تخافي: لن تغرقي:

لكنني يا سيدي فلسطينية: اليهود يا سيدي ينجون وأنا أغرق:

هتفتْ، وانقلبتْ على أرض القمرة كالمغمية أو المصلية أو الميتة: وكانت الباخرةُ تحطّ من أعلى جبل الجودي إلى:

مؤتمر

لأول مرة ترى فاتن هذا الرجل: أقصرَ مما ظلتْ تحسب منذ تزوّجا: أنحفَ مما تركته بالأمس في الشام أو بيروت أو القاهرة، بالغَ الأناقة والتهذيب: ليس له جلحُ فؤاد صالح ولا شيبُهُ المبكر: ليس له بيمانٍ شَبَهُ: ولأن الموج الرخيّ يلحس الرمل هنا كما كان يلحس الرصيف في ميناء اللاذقية، فقد خجلتْ فاتن من أن تسأل أنيس: ما بدلَكَ؟

كان الصباح قد عاد بها أوفرَ عافيةً منها قبل أن تفجأها ـ مثلَ الباخرة ـ عاصفةٌ عابرةٌ: وفي السرير المفضي إلى النافذة المفضية إلى صفاء السماء مسحتْ فاتن على وعث الأمس: وتحت الدوش الساخن تعرفتْ إلى جسدها ونفختْ روحَها فيه، ثم أسرعتْ إلى المطعم الهادئ تلتهم إفطارها التهاماً. وأنيس: لأول مرة يرى هذه المرأة: أسمَنَ مما ظل يحسب منذ تزوجا: أكبرَ غموضاً مما عرف في القاهرة أو بيروت أو الشام: لذلك تعلّل بغيبة قصيرة أَمِلَ منها أن تغلب حيرته وضعفه اللذين نبقا منذ لاقى فاتن شاحبةً وشعثاء لا يكاد يسمع صوتها إلاّ بشق النفس: لماذا طلبتَني إلى قبرص؟

في غيبته التي طالت، طافتْ فاتن في أبهاء الأوتيل وحدائقه الصغيرة المزركشة قبل أن تقطع الشارعَ الوضيء نحو الشاطئ: لو كان فؤاد الآن مستلقياً هنا لقال: «ما من رملة تشبه رملة: رواية مثل هذه الرملة يا فاتن»: لماذا إذن تركتَني أسافر وحدي إلى اللاذقية: خفتَ من أن تصادفنا نوال الشيخ؟ لا رجل يبرأ من امرأة أحبها يا حبيبي، ولا امرأة تبرأ من رجل أحبته: سأحمل لك حفنةً من هذا الرمل، وحفنةً من رمل اللاذقية: وسأخلط الحفنتين، ثم أنثر الرمل على طاولتك: يلله يا فؤاد: لُمَّ هذا الشعث، واكتب روايتك:

انتزع أنيس المرأة الجديدة من خلوتها مع فؤاد، وراح ينثر مزاحه وجدّه: كنتُ على يقين من أن ليماصول ستسحرك: قلت لنفسي: من زمان يا أنيس لم تفاجئ فاتن بما يُفرح: ادعها إلى إجازة هنا:

ـ لماذا إذن سيصل غسان الوهبة هذا المساء؟

سألتْ فاتن، فأكد أنيس أنّ القرارات الكبرى تحتاج إلى هدأة وربما إلى سحر مثل هدأة ليماصول وسحرها: تماماً مثل مؤتمر أوسلو: شبيه جداً بمؤتمر مدريد أو مؤتمر القاهرة.

قالت فاتن متأسية: أنتَ قد قررتَ أن تلحق بياسر عرفات إلى غزة: لا تضحك على نفسك ولا عليَّ وعلى غسان: ماذا بوسعك أن تفعل غير أن تلحق بياسر عرفات إذا سمح لك الإسرائيليون؟

ـ المهم أنتِ ويمان:

قال أنيس، وهو يهرب من نظرتها ومن البحر والرمل الذي بين قدميه والغيمةِ الرقيقة التي تظلله والأوتيلِ المسترخي في الخلف.

ـ أنا أريد أن أعود إلى غزة: ويمان بحاجة إلى من يقرر نيابة عنه: نسيتَ أنه فلسطيني من صلب فلسطيني ومن رحم فلسطينية؟

قالت فاتن ممازحة، وتقدمت أنيس نحو الأوتيل: أعلن أنيس أنه قد رتّب تفاصيل العودة: ولكن كيف ستلتئم الأسرةُ السعيدة في غزة؟ ما بين تونس والشام ساعَدَنا على الكذبة: لسنا مطلقين: هو الشتات الفلسطيني الأمرّ من الشتات اليهودي فحسب: لكن أنا وأنت وغسان الوهبة وصبا العارف جميعاً نعرف: نحن مطلقان وإن لم نعبأ بورقة الطلاق، كما لم نعبأ بورقة الزواج:

قالت فاتن بلا مبالاة:

ـ نعلن طلاقنا.

ـ ويمان؟

سأل بحذر.

قالت جازمة:

ـ يمان يعيش معي: من دونه لا أريد غزة ولا فلسطين من أساسها.

قال جازماً:

ـ إذن نعود إلى غزة: نعيش معاً فترة ثم نعلن طلاقنا:

فالتفتتْ إليه منكرةً: من أنت أيها الرجل؟ ولم تفتأ تكبت السؤال طوال المؤتمر:

جلسة على الغداء: على فاتن أن تصفّي أعمالها في الشام بسرعة: تبيع البوتيك بما حمل، وتفضّ الشراكة مع صبا العارف، وتدير قفاها لفؤاد صالح كما أدارت له نوال الشيخ قفاها: المال كله هو مال الأسرة السعيدة العائدة إلى فلسطين المحررة: مال فاتن ومال يمان ومال أنيس كمان: وسواء أُعلن الطلاق على الملأ، أم ظل سراً كرمى ليمان، أم عاد الوئام، فغزة ليست بالشام، والمال يتوزع على الثلاثة بالتساوي:

سألتْ بهدوء:

ـ وما احتفظتَ به لنفسك من تركة الجبهة والحزب، ومما قبضتَ من ياسر عرفات؟

ـ أنا لم أحتفظ بدولار ولا قبضت دولاراً:

ردّ بهدوء.

سألتْ وهي تلتفت إلى غسان مبتسمة:

ـ حسابك إذن بالشيكل يا رفيق؟

ـ ما في داعي لهالحكي يا فاتن:

قال غسان بغيظ.

ـ حسابك أنت بأيِّ عملة؟

سألتْ بهدوء.

ـ فاتن: قلت لك ما فيه داعي لهالحكي:

صاح غسان وهو يقف، فأجلسه أنيس وهي تسأل بهدوء:

ـ على ماذا تتصارعان إذن؟

تجاهلا سؤالها وتهامسا، ثم أعلن أنيس أنه توسط لدى ياسر عرفات كي يتوسط لدى الإسرائيليين كي يسمحوا لغسان بالعودة إلى رام الله: المهم أن يرجع واحدُنا إلى فلسطين ولو على النعش، خاطب فاتن ثم تمنّى أن يقيم في رام الله على الرغم من أنّ مكتبه كمدير عام ينتظره في غزة: غسان أيضاً يمكن أن يكون له مكتب مدير عام أو نائب مدير عام: فاتن نفسها لو رغبتْ سيكون لها مكتبُ نائبِ مدير عام، أو نائب نائب مدير عام: لكن غسان لا يريد أن يعود الآن إلى فلسطين: ومن تبقى لديه من المقاتلين سيبيعهم ـ كما يؤكد أنيس ـ إلى جورج حبش أو نايف حواتمة أو أحمد جبريل أو أبو نضال أو أبو موسى أو إلى من يدفع أكثر. طيب، وإذا دفع انطوان لحد أكثر؟ إذا دفع حزب الله أو «حماس» أو «الجهاد» أكثر؟ هنا هجم غسان على أنيس، فصاحت فاتن:

ـ قبل شوي كنتو سمن وعسل: على ماذا تتصارعان؟

وكرمى لها تابعا المؤتمر:

جلسة صباحية هادئة بعد جلسة العشاء العاصفة التي امتدتْ حتى الثانية بعد منتصف الليل: أنيس مفوَّض بشراء غسان الوهبة ومَنْ تبقى معه: الدفع مقدَّماً في قبرص، والتسليم في صيدا: القتل ينتظر غسان إذا نكث: القتل ينتظره أيضاً إذاً رفض: وله أن يقيم في أي بلد في العالم: حتى في إسرائيل نفسها ستيسّر السلطة الوطنية الفلسطينية أمرَهُ لو شاء:

طلب غسان خلوة بأنيس، فضحكتْ فاتن وأسرعتْ إلى الشاطئ: صار لكم أسرار عن فاتن طروف يا رفاق؟ لماذا إذن راودني هاتفُك يا غسان في الساعة الثانية ودقيقتين بعد منتصف الليل؟ لماذا اصطنعتَ الغيرة إذن يا أنيس، وسألتَني عمّن شَغَلَ هاتفي بعد الجلسة الثانية بدقائق؟

انتهت الخلوةُ بأسرع مما قدَّرت فاتن، وناداها الرفيقان:

استعاد المؤتمر الهدأةَ والإجازةَ والسحر: هتف أنيس إلى أحدهم في غزة، وحثّ فاتن على أن تهتف لأبيها الأعمى أو إلى أيٍّ من أشباله المشتتين بين الجامع والسوق و«فتح» و«الأمن الوقائي»: ستكون مفاجأة سارة لهم يا فاتن: في الشام لا تستطيعين أن تتصلي بهم: هم يتصلون بكِ: أعرف: هنا ما عليكِ إلا أن تكبسي هكذا: برفق، برفق، يا فاتن: تسعة سبعة اتنين وبعدين سبعة: مهما عاندتْ إسرائيل سيكون للسلطة الوطنية رقمُها الخاص بالنداء الدولي:

وهذا صوت أبي إذن: هذا صوت زوجة أخي: هذا صوت عز الدين: أنا راجعة يا أخي: راجعة يابا: أنيس رتّب كلَّ التفاصيل: وهكذا سأكون من جديد أمام إسرائيلي أو إسرائيلية وجهاً لوجه:

إثر ذلك سافر أنيس إلى لارنكا، وتابع غسان وفاتن المؤتمر وحدهما: غسان يلوم فاتن على فظاظتها أمس ويحلف أنها لن تستطيع العيش في غزة: لا بسبب العبق الإسرائيلي فيها، بل بسبب «حماس» أيضاً... إلا إذا كنت ستتحجبين: لذلك نكثتْ بوعدها وتعرَّت وقالت: تعال: ولم يكد غسان يغادر غرفتها، حتى كان أنيس قد عاد: فنكثتْ بوعدها ثانية وتعرَّتْ وقالت: تعال:

ظل أنيس يسعى حتى العصر، وفاتن تأخذ بيده ما وسعت: لا طائل: بصراحة يا فاتن، أنهكتني صاحبتي: لماذا تظنين أني ذهبتُ إلى لارنكا؟

أسرعتْ فاتن إلى الحمّام ومنه تناهى سؤالُها مع وشيش الماء: لماذا لم يأخذوك معهم إلى أوسلو أو مدريد أو واشنطن؟ لماذا لم يأخذوك على الأقل إلى الدار البيضاء أو عمّان؟

ـ وفّروني لما هو أصعب:

صاح ضاحكاً وهو يتأمل سحابة الدخان التي أطلقها على مهل.

ـ إياكَ أن تفعل مثلهم:

قالتْ محذِّرة بصوت مبلل.

ـ وماذا يفعلون؟

سأل بحذر وهو ينظر إلى باب الحمّام المفتوح.

ـ يحضرون الافتتاح: يتركون الإسرائيليين في جلسات المؤتمر وحدهم، أو مع الوسطاء، ويسرعون إلى صاحبتك في لارنكا: وعندما يعودون يكونون منهكين مثلك وعاجزين حتى عن التوقيع: بالمناسبة، صاحبتك يهودية؟

قالت فاتن وقد انقطع الوشيشُ، فأطفأ أنيس سيجارته، ووقف يتأمل عريه في المرآة: صفاء وبهاء ينسكبان. لولا أن رماه صوتُ فاتن بالعكر: «تعال تحمّمْ بسرعة وخلينا نخلص من مؤتمر ليماصول: أنا راجعة بكرة ع الشام ولو مشياً».

كانت الآن قد وقفتْ خلفه، وفضحتِ المرآةُ عريَها مثلَ المنشفة التي سقطتْ بين أقدامهما فأطرق لا يريم(...)

اللاذقية